

التبيان في تفسير القرآن

(141) ألا ترى ان المعلوم بعد ان لم يكن معلوما لا يتغير بهذا العلم، لانه لو شوهده لم يشاهد على خلاف ما كان، والقدرة شوهدت على خلاف ما يشاهد العجز. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لانها تدل على انه لا يكون العقاب الا بتغيير النفس إلى ما لا يجوز ان يغير اليه، وهذا يبين انه لا يحسن من العقاب الا لمن فعل قبيحا او اخل بواجب، وذلك يبطل قول من قال: يجوز ان يعاقب الله البرئ بجرم السقيم، وجملة معنى الآية إنا اخذنا هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم، وتغييرهم نعمة الله عليهم من بعث رسوله وتكذيبهم إياه واخراجهم له من بين اظهرهم، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفار. قوله تعالى: كذاب آل فرعون والذين من قبلهم بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (55) آية انما اعاد قوله: " كذاب آل فرعون والذين من قبلهم " لاعلى وجه التكرار بل لفائدة بل لوجهين: احدهما - قال ابو علي: لانه على نوعين مختلفين من العقاب. وقال الرمانى: فيه تصريح القول في الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل وتقدير الكلام: دأب هؤلاء الكفار مثل دأب آل فرعون. ويحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار " كذبوا بآياتنا ". والتكذيب نسبة الخبر إلى الكذب، فالتكذيب بالحق مذموم، والتكذيب بالباطل - لانه باطل - طاهره امره محمود، وانما وجب في التكذيب بآيات الله تعجيل العقوبة، ولم يجب ذلك في غيره، لما في تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم، فيصلحون به مع علم الله بأنه ليس فيهم من يفلح - على مذهب من يقول: لو علم الله ان فيهم